651



خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين لميلاد جلالته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

عودتني أن تحتفل كل سنة في التاسع من شهر يوليوز بعيد الشباب، ذلك العيد الذي يصادف ذكرى مولدي، وعودتك أنا بدوري أن أتوجه إليك في هذه المناسبة مخاطباً ومحدثاً، إحكاماً للروابط التي تربطنا، وصلة ليومنا بأمسنا، وتوطيداً لتفاهمنا وتعاطفنا وانسجامنا على أقوى الأركان وأمتن الدعامات، وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : ما كان لله دام واتصل.

ونحمد الله سبحانه وتعالى على هذا الاتصال والإستمرار، الشيء الذي يجعلنا كيفما كانت الأحداث وتقلبت الأيام والسنون مطمئنين على حالنا، موقنين بمستقبلنا، مومنين بصواب اتجاهنا واختيارنا.

شعبي العزيز

كثيراً ما نتذاكرُ في المسائل التي تهمنا من قريب أو بعيد، وإذا عدت بالذاكرة إلى السنة الماضية تجد أن الخطاب الذي وجهته إليك يوم 9 يوليوز منها كان يرمي أولا إلى أهداف معينة من الناحية الإقتصادية والإجتماعية، بل أقول كان هذا الخطاب يعني بالإنطلاقة الإجتماعية الإقتصادية، ذلك أن كل عمل اقتصادي لا يرمي من ورائه الفرد أو المسيِّر إلى تكريم الإنسان والرفع من مستواه يكون عملا ناقصاً، كما أن كل عمل اجتماعي لا يقصد به إلا الديماكوجية والمبالغات في القول والقفزات المتهورة إلى الأمام دون أن يتعرف الإنسان على إمكاناته ووسائله ــ يكون عملا بدون جدوى، لا يعود على الدولة ولا على الأمة ولا على الأفراد بأي خير كان. بأي خير كان.

لذا تذاكرنا في السنة الماضية على نقط معدودة، نقط ترمي إلى إحياء الفلاحة وتكريم الطبقة العاملة وتقريب الإدارة من الشعب، نقط ترمي إلى إيجاد عدلية يطمئن إليها الإنسان ويعيش في ظلها الوريف كل مغربي مغربي، وقد حققنا والحمد لله كل هذا وحققنا أكثر منه، استرجعنا أراضينا، وخلقنا الخدمة المدنية، ووضعنا اللبنة الأولى في إشراك العمال في أرباح المعامل، ولم نكتف باسترجاع الأرض، بل قررنا ونحن في أكدير ــ في الوقت الاستراتيجي بالضبط ــ أن نتراهن مع الزمن، فنقوم بعملية حرث للأراضي المسترجعة فكان الله سبحانه في عوننا، لأنه سبحانه وتعالى يعلم صدق نيتنا، وإيماننا بحقنا، فأنعم علينا بسنة وفيرة الماء بلغنا بها الرقم الذي حددناه وهو 17 قنطاراً في الهكتار، ويمكنني شعبي العزيز أن أبشرك أننا بلغنا هذا الرقم، ونحن جميعا لا نقنع به، ولكنَّه على اي حال مُهِمٌّ جداً، لأنّه سيكون فاتحةً لمُنطلقات جديدة، ولأنَّه يُعلمنا أنَّنا إذا أردنا شيئاً وَوَطَّدْنا العزم عليه واعتمدنا على الله في بلوغه، فإنه سبحانه وتعالى ما كان ليخيبنا، وما كانت عزائمنا وإرادتنا لتخيب بها مجهوداتنا، فها نحن سنخطو في هذه السنة ــ نظراً لنجاح هذه التجربة ــ خطوات أخرى في الميادين التي ذكرتها لك، وسنواصل تجربتنا ونزيد فيها.

فمثلا قررنا إشراك العمال في الشركات، وقررنا أن نضيف في هذه السنة إلى الشركات التي يشترك فيها عمال الشركات الآتية : معمل سكر سيدي بنور، و لن نكتفي باشتراك العمال في معامل السكر بل قررنا أن نسير خطوات في سبيل إشراكهم في المعامل الصناعية الصرفة : وهكذا سنضيف معمل (لاسامير) للقائمة،

ونضيف كذلك معمل صنع القنوات التي تجهز بها مناطق السقي، ونضيف كذلك معمل صوماكا لتركيب السيارات.

نظام اجتماعي اشتراكي لا يكتفي بالشعارات

وهكذا شعبي العزيز نُعطي بخطوة تلو أخرى الدليل على أننا نعيش في المغرب في نظام اجتماعي واشتراكي في صلبه وكنهه وفلسفته، ولا نكتفي بالشعارات، ولا نكتفي باللافتات، ولا نكتفي باستيراد الفلسفات من الخارج، بل نفكر ونقول، ونطبق فننجح، وكل هذا يرجع الفضل فيه بعد توفيق الله تعالى إلى تماسكنا وتعاضدنا وإيماننا بمغربيتنا.

أما الناحية الأخرى فهي إشراك الشباب في تسيير الأمور المدنية والعامة، فزيادة على الخدمة العسكرية، ولكي نزيد في إشراك الشباب المغربي، ليس فقط لكي يدلو بدلوه في شؤون الأسرة الصغيرة التي هي المغرب، بل ليقوم بواجبه نحو الأسرة الكبيرة التي هي إفريقيا، سندعو الشباب الذي عمل سنة مع الدولة ليتطوع منه مئة في آخرها لنرسلهم إلى إفريقيا لمدة سنة أو أكثر، ليكونوا من أهلها أساتذة وأطباء ومهندسين وفنيين، حتى يمكنهم أن يرفعوا رأس المغرب عالياً بين جميع إخواننا الأفارقة، وحتى يروا الشباب المغربي في الحقول في المصانع والمكاتب، يروه في واجهة القتال، تلك الواجهة التي هي قبل كل شيء تطارد التخلف وتحارب الإستعباد، لأننا نعتقد أن الدولة التي ليست لها أطر كافية من أبنائها هي دولة مستعبدة ومستعمرة، وما زالت غير عارفة معنى الإكتفاء الذاتي فيما يخص مقدراتها وإمكاناتها.

هذه شعبي العزيز كلمات وجيزة بمناسبة هذا اليوم حول الماضي وحول المستقبل، في الميادين الحيوية التي تعرفها، وهي ميادين اجتماعية واقتصادية.

وإذا أردنا أن نحلل هذا كله نجد أن ميزاننا راجح والحمد لله، وأننا رابحون في جميع هذه الميادين التي حصرناها أمامك.

خطورة الموقف في الصحراء

ولكن تعرف كذلك شعبي العزيز أن كل عمل داخلي لا يكون مقروناً بعزيمة قوية على أن يسند باحترام في الخارج وأن يسند بما يطمئن على المستقبل — هو عمل لا يمكن أن يدوم.

لذا، ونظراً لخطورة الموقف، أريد منك شعبي العزيز ومن شبابك المتوثب أن نجعل من السنة المقبلة سنة استكمال حريتنا واستقلالنا الترابي.

شعبي العزيز

تعلم أننا غداة الإستقلال كنا وقعنا على وثيقة مع الحكومة الإسبانية يوم 12 أبريل 1956 تضمن للمغرب استقلاله ووحدته الترابية، ولكن مع الأسف ورغم المطالبات العديدة، ورغم ما أظهر المغرب من مرونة وتشبُّث بالطرق السلمية والمنطقية لحل المشاكل لم تستجب إسبانيا لرغبات المغرب، ولم يجد المغرب مخاطباً في مستوى حسن نيته.

واستمرت بعد ذلك المفاوضات والمشاورات والمناقشات إلى حد أننا حينما احتفلنا سنة 1965 في فاس بالذكرى العاشرة لاستقلالنا واستقبلنا وزيراً إسبانياً جاء يمثل حكومته قلنا له بالحرف : إننا نطالبكم بإرجاع الأراضي المغتصبة والصحراء التي تديرونها، ولكننا لا نريد أن نقع في مثل الأغلاط التي وقعت فيها بعض الدول الإفريقية، لذا نحن عازمون على عرض القضية على منظمة الأمم المتحدة إذا لم ترد إسبانيا أن تعترف لنا بحقنا وترد لنا صحراءنا.

وكان حق تقرير المصير بالنسبة إلينا هو طرح السؤال التالي بصفة واضحة : هل تريدون البقاء مع الدولة التي تحتلكم أم تريدون الرجوع إلى حظيرة وطنكم الأصلي ؟ وطالبنا أن يجري الإستفتاء على هذا الأساس وفي إطار هذا السؤال المحدود بضمان من هيأة الأمم المتحدة والمجموعة الدولية، وكنا دائماً ننبه إسبانيا وحكومتها إلى خطورة إقدامها — فيما إذا أقدمت — على عمل انفرادي يستهدف منح استقلال أو استقلال داخلي لهذا الجزء العزيز علينا من ترابنا الوطني.

وعندما سافرنا إلى إسبانيا سنة 1970 ودارت بيننا وبين الجنرال فرانكو محادثة خاصة كان عرضنا لهذه المشكلة أعمق، وكان موقفنا يتسم بالمرونة، وسياستي ليس فيها ما يخفى، لأنها واضحة كالشمس في رابعة النهار، وإذ ذاك طرحنا على الحكومة الإسبانية الإختيارات التالية :

إننا نعلم الموقع الاستراتيجي لمدينة العيون ومدينة الداخلة بالنسبة لجزر كناريا، وإننا نعلم أنكم تولون لهذه الجزر أهمية بالغة من الناحية العسكرية، لذا فنحن مستعدون إذا أنتم أقررتم بسيادة المغرب على الصحراء أن نضع رهن إشارة إسبانيا قواعد عسكرية لمدة نتفق عليها تجعلكم تطمئنون على كناريا، علماً منا أن القواعد العسكرية لا ينتفع بها في الأخير إلا البلد الذي هي مقامة على أرضه، وعلماً منا أن التطورات الاستراتيجية وتطورات الأسلحة تجعل دائماً من القواعد العسكرية شيئاً قابلا للتطور.

وقلنا أيضاً إذا كانت ثروات الصحراء — سواء التي على ظهر الأرض أو التي في قعر البحار — تهمكم فالمغرب مستعدٌ كذلك ليبرم معكم اتفاقية يشترك بموجبها معكم في عمليات الإستخراج والتسويق.

وكنا نعتقد أن تفتحاً مثل هذا لا يكون له من أثر إلا أن يرجع الإسبانيين عن غيهم، ويجعلهم ينظرون إلى مصالحنا العليا بعين الإعتبار، ويعلمون أنه لا مكان للأجنبي في إفريقيا.

وهذه القاعدة تزداد وضوحاً وحقيقة يوماً بعد يوم.

لا يمكن إنشاء دولة مزيفة

أما الآن فقد أحسسنا بأن أي مطلب من مطالبنا لم تستجب إسبانيا له، وأن إسبانيا تسير إلى إقرار نظام الإستقلال الداخلي، ونحن نعلم طبيعة هذا الإستقلال الذي يبقى السياسة الخارجية والدفاع بين يدي الدولة المحتلة، فإذا اتجهت إسبانيا هذا الإتجاه فأنا — كمسؤول عن وحدة البلاد من جهة، وصيانتها من أخطار المستقبل من جهة أخرى — أصرح لشعبي — وأترك هذا وصية لكل مغربي مغربي — أنه لا يمكن أن يتم تنصيب دولة مزيفة لا حقيقة لها في جنوب بلادنا، لأنه من الوجهة الاستراتيجية ومن الوجهة الهيدرولوجية، ومن جهة المنافذ على المحيط الأطلسي لا يعقل هذا، لأنه سيكون خطراً مستمرا على سلامة بلدنا وحرمته، وعلى أبنائنا ومستقبل أبناء أبنائنا.



إن هذه المسألة ليست مسألة عاطفية فحسب، بل هي مسألة حيوية لكل مغربي مغربي، مدنياً كان أو عسكرياً، مسؤولا كان أو موظفاً، رجل أعمال أو عاملا، ولذا سأقول هنا للأجانب الذين سيعلقون على خطابي هذا ــ وتعرفون العطف الذي يكنه هؤلاء المعلقون الأجانب للمغرب ! وما ذاك إلا حسداً منهم وبالخصوص بعض المعلقين الذين «ذاقوا» الإستعمار في المغرب ولم يريدوا أن ينسوا أن المغرب هو أول دولة فلتت من أيديهم ثم تبعته جميع المستعمرات، ولم ينسوا أن هذه الفلتة أو الإفلات أتت على يد العلويين وبالأخص على يد جلالة والدي المرحوم محمد الخامس وأسرته، أقول لهؤلاء المعلقين الذين تعرفون العطف الذي يكنونه للمغرب والذين يلوحون في تعليقاتهم بأن المغرب يريد تغطية مشاكله بإثارة قضية الصحراء، أقول لهم : ليست لدينا مشاكل ولله الحمد، وقد أنجزنا كل ما قررنا، وأنجزنا فوق ما قررنا، وظهرنا مرفوعي الرأس في الداخل والخارج، وكنا قبل غيرنا في خوض المعركة لما حان وقت التحرير، وآخر من خرج منها لما وقع فك الإرتباط، وظهر الجندي المغربي والممرض المغربي، والمهندس المغربي، والأخصائي المغربي بمظهر رائع، والشعب المغربي تبرع أكثر من أي شعب آخر. فلا مشاكل عندنا في الميدان الخارجي نُغطيها بإثارة قضية الصحراء، أما في الداخل فإن سياستنا تسير ولله الحمد بخطى طيبة في طريق لاحب لا عوج فيه، فالخزينة مليئة، ولدينا أكثر مما نحتاج إليه من العملة الصعبة، وفوسفاطنا في نمو مطرد، ومحصولنا الزراعي كما نتمنى، والتخطيط صرفنا عليه خلال الأشهر الأربعة الأولى أكثر من أربعين مليار سنتيم، وهذا رقم قياسي لم تشهده التخطيطات السابقة، بالطبع لنا بعض المشاكل العامة كجميع الدول الأخرى، مثل تعميم التعليم، وقلة الأساتذة، وانخفاض المستوى، وعدم كفاية الأطر، ومراجعة الإدارة والسلم الإداري والمسطرة الإدارية، ولكن هذه المشاكل ليست مشاكل يضطر الإنسان إلى تغطيتها بخلق مشكل آخر.

أقول للجميع، إن المغاربة قد لا يتفقون على منهج تعليمي، وقد لا يتفقون على إصلاح قضائي، وقد لا يتفقون على سياسة ما في الميدان الإقتصادي، كحرية التبادل أو تدخل الدولة أو غيرها، إن هذه اختيارات، وهي شغل يهمنا وحدنا ومشاكل تخصنا ولا تخص غيرنا، وكل مغربي حر في أن يشرق أو يغرب، ولكن حينما يتعلق الأمر بوحدتنا الترابية وضمان مستقبلنا فإن المغاربة يقفون صفاً واحداً كيفما كانت مشاربهم السياسية وكيفما كان مستواهم الإجتماعي، والأجانب يعلمون هذا حق العلم.

لذا أتوجه إلى رعايانا في الصحراء فأقول لهم إياكم ثم إياكم أن يصيبكم الغرور وتركبوا خطة تندمون عليها في المستقبل، إننا نعرف المستعمرين وحاربناهم من قبل، وستتنبه في يوم من الأيام الجماعة، جماعة الصحراء، التي تنتمي إلى أسر محترمة نحترمها، سيتنبهون فيجدون أسماءهم المعروفة بالعروبة والاسلام، وبالغيرة القوية في وثائق ليست في مستوى وطنية الصحراويين ولا في مستوى إسلامهم وعروبتهم.

إذن فلنجعل من هذه السنة سنة تجنيد في الداخل والخارج لنسترجع أراضينا، وإننا لا نيأس من الحوار من جهة أخرى، اعتقاداً منا بأن التغييرات والتطورات وما حدث بالأمس ليس هو ما يحدث اليوم، فالحوار إذا لم ينفع بالأمس فقد ينفع غداً، ولكن الحوار وحده لا يكفي، بل لابد من المخاطب، والمخاطب الإسباني يعلم أن أمامه إرادة واحدة وإرادة موحدة، ويجب عليه أن يدرك أيضاً أن أصدقاء المغرب من عرب ومسلمين وأفارقة وغيرهم سيقفون بجانب المغرب، وعلى المستعمرين والمغاربة كذلك أن يعرفوا أن هذه هي الفرصة التي سنعرف بها صديقنا من عدونا.



شعبي العزيز

مرة أخرى أشكرك جزيل الشكر على ما تظهر في عيد ميلادي من فرح وسرور، إنني أشعر أن احتفالاتك ومباهجك ومسراتك هي صادرة من قلبك تلقائياً، فأنت شعب لا يرغم على الخروج إلى الشوارع ليغني ويرقص ويزغرد ويحتفل مُرغَماً، إن إحساساتك الطيبة نحوي تثقل كاهلي وتجعلني في خدمتك ورهن إشارتك وتحت تصرفك في كل سنة أحسن من السنة التي قبلها، وأنتهز هذه الفرصة لأشكر جميع السادات والسيدات الذين عبروا لي عن تهانئهم بعيد ميلادي، وأنا بدوري أتمنى لهم وللجميع الصحة والعافية والسعادة، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن ينصرنا كما ننصره، ويعلي شأننا كما نعلي شأن دينه وسنة رسوله، وأن يعطينا سبحانه وتعالى ما وعدنا به : إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً.

إنه سميع مجيب.

ألقي بفاس

الاثنين 17 جمادى الثانية 1394 — 8 يوليوز 1974